Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجرجانى والجاحظ :

وإذا كان ابن قتيبة وابن رشيق يميلان إلى أن أهم ما يحقق الوحدة فى القصيدة هو حسن التنسيق والترابط بين عناصرها على اختلاف بينهما فى عرض الرأى وأسلوب التعبير عنه ، فان الجرجانى والجاحظ يميلان أيضا إلى أن حسن التنسيق والترابط والتآلف هو أهم عوامل تحقيق الوحدة والجودة الأدبية ، ولكنهما كذلك يختلفان فى أسلوب التعبير عن الرأى وعرضه .

فأما الجرجانى فإنه يعرض رأيه هذا من خلال بحوثه الرائدة فى علم البلاغة ، فيقرر بتوضيح وتركيز شديد أن من أهم عوامل الجودة فى الأسلوب ، ومن أبرز دعائمها حسن التنسيق والتآلف بين الكلمات والمعانى ، وغالبا ما يعبر عن هذا بالنظم تشبيها لترتيب الكلمات بنظم حبات العقد ، من حيث إن ترتيب حبات العقد يحتاج إلى ذوق حتى يخرج العقد منسجما متآلف الحبات فى منظر يريح النفوس ويشدها إليه ، والجرجانى يعبر عن الصلة بين الكلمات والمعانى المتجاورة بأنها كالصلة بين الأرحام ، وأن الصلة بين الكلمتين أو المعنيين المتناسبين كالحلف الجارى مجرى النسب ، وأن المعنى أو الكلمة غير المناسبة لما حولها كالشخص الزنيم الدخيل النسب ، يلصق بالقوم فى نسبه إلصاقا ، ولكنهم لا يقبلونه[٢٨]

ويوضح الجرجانى أن الألفاظ لذاتها ليست لها الأهمية الأولى ، وكذلك المعانى ، وإنما تتركز الأهمية الأولى فى حسن تنسيقها وترتيبها ونظم بعضها فى جوار بعض بتآلف وتناسب ، ويضرب مثالا لذلك ببيت للفرزدق يتفق علماء البلاغة والنقد القدماء على ثقله وسوء صياغته ، ثم يعقب على هذا البيت بقوله (فانظر أتتصور أن يكون ذلك للفظه من حيث إنك أنكرت شيئا من حروفه أو صادفت وحشيا غريبا أو سوقيا ضعيفا ؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ فى الذكر على موجب ترتيب المعانى فى الفكر .... ثم أسرف فى إبطال النظام وابعاد المرام وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة ... »[٢٩] .

وإذا كان الجرجانى لم يتحدث عن الوحدة أو الجانب الكلى صراحة ، فإن اتجاهه هذا يمثل فى مضمونه أقوى دعوة إلى الوحدة والاتجاه الكلى ، لأنه يصرح بأن